# القسم موجه حجاجي في خطب ووصايا عصر ما قبل الإسلام

م. راوية عبدالله محمد عمر

جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم اللغة العربية

# The Swear is directed at Hajjaj in the sermons of the commandments of the Pre-Islamic era.

**Rawia Abdullah Mohammed Omar**

Rawia-a-mohammed@tu.edu.iq

## ملخص البحث

التوجيه من أفضل الوسائل تأثيراً في الآخرين , وهو آليه بيانية فاعله لتحقيق التأثير في المتلقي , ومحور رئيس في إيصال الأفكار؛ لنجاح المقاصد بين المتكلم والمتلقي , والقسم أحد آليات التوجيه الذي يمثل قوة تأثيرية فاعلة في تحقيق الغايات والمطالب وتوجيه النصوص بما يخدم رغبة المتكلم , ولأهمية ذلك نهج البحث دراسة القسم موجه حجاجي في خطب ووصايا عصر ما قبل الإسلام لاسيما وإن القسم والحلف كان من الأمور التي يلتزم بها العرب فيوثقون بها كلامهم ويحققون بها مطالبهم عن طريق إثارة المتلقي , وبما إن الخطب والوصايا كانتا سلاح العرب وأداتهم الإعلامية في تنظيم الأفراد والجماعات فقد مثل القسم جزءاً مهماً منها على اختلاف موضوعاتها وصانعي نصوصها, لذلك تناولت الدراسة الكشف عن مفهوم التوجيه وأهميته وأنواع الموجهات والفرق بينها في توجيه النصوص والتأثير في المتلقي وقدرتها على تحقيق التواصل ثم مفهوم القسم وخصائصه وطاقته الحجاجية الاقناعية ,وعوامله الحجاجية وعلاقته بالمقام كاشفة عن أبرز هذه الخصائص في خطب ووصايا عصر ما قبل الإسلام لكونها ثروة لغوية وفكرية وأدبية صادرة عن ملكات متباينة اجتماعيا وفكريا مبيناً لمدى تأثير ذلك في المتلقين بمختلف مستوياتهم وموضحة لأهم التحديات التي يواجها صانع النص لتحقيق غايته المنشودة وقد خلصت الدراسة الى أن الخطب والوصايا في عصر ما قبل الإسلام مثلتا صورة واضحة لحياة العرب وقدرتهم على توظيف آلياتهم اللغوية بما يخدم غاياتهم لاسيما التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بأمور حياتهم كالقسم الذي وظفوه كموجه لمفاصل نصوصهم لمعرفتهم بخواصه التأثيرية والتأكيدية ,ولإدراكهم بمدى فعاليته في التوجيه والإقناع. كلمات الافتتاحية: القسم, الموجه الحجاجي ,التوجيه , الحجاج , المقام.

**Research summary**

Guidance is one of the best ways to influence others, and It is an effective graphic mechanism to achieve influence on the recipient, and the alliance is one of the mechanisms of guidance, which represents an effective force in achieving the goals and demands and directing the texts to serve the speaker's desire and the importance of this research approach studying the alliance as a wave of arguments in the speeches and commandments of the Pre- Islamic era.Especially since the oath and the oath were among the things that the Arabs adhered to, so they document their words and achieve their demands by excite the recipient. The concept of guidance and its importance and the types of directives and the difference between them in directing texts and influencing the recipient and their ability to achieve communication, then the concept of oath, its characteristics, its persuasive argumentative power, its argumentative factors, and its relationship to the station. Indicating the extent of the impact of this on the recipients of their different levels and explaining the most important challenges facing the text maker to achieve his desired goal. The study concluded that the sermons and commandments in the pre-Islamic era represented a clear picture of the life of the Arabs and their ability to employ their linguistic mechanisms to serve their goals, especially those closely related to their life matters such as the oath. Which they employed as a guide to the joints of their texts because of their knowledge of its influencing, emphasizing and perceptive properties They are effective in guiding and persuading.Keys words: **Swear, Guidance of Hajjaj, Guidance, Hajjaj, maqam**.

## المقدمة

تعد المعتقدات الدينية البوابة الأهم للدخول في عوالم الشعوب والأمم القديمة للكشف عن جوانب حياتهم الهامة , وخاصة عرب ما قبل الاسلام الذين تنوعوا بديانات عرفوها وتوارثوها بالإضافة لمعرفتهم بوجود الخالق العظيم اتجه كثير منهم الى تقديس الأوثان والأصنام , وقد كان للقسم أو اليمين مكانة خاصة عندهم ,إذ يحتاجون إلى سوقه في مفاصل كلامهم لتوثيق الكلام وبخاصة في الأمور المهمة كالمحالفات والمعاهدات التي تحتاج إلى مؤكدات لتصديقها, لذا علا شأن القسم عندهم لما له من مكانة في نفوسهم ولقدسيته عندهم إذ كانوا يحترزون عن الأيمان الكاذبة ويعتقدون أنها شؤوم على صاحبها, فكانت اليمين عندهم قاطعة إثبات, فتفننوا في توظيفهم القسم موجهاً لمقاطع خطبهم ووصاياهم لما له من تأكيد للمعنى وسلطة يفرضها على النص فتؤثر في المتلقي و تحقيق ما يسعى اليه المتكلم ،ولأهمية القسم كمؤكد وموجه في حياة العرب قبل الإسلام كان موضوع الدراسة( القسم موجه حجاجي في خطب ووصايا عصر ما قبل الإسلام)تسليطًا للضوء على أهمية القسم في توجيه النصوص وشحنها بالطاقة التأثيرية الفعالة. وقد قسم البحث تبعا لطبيعية المادة إلى مقدمة وتمهيد ثم إلى مطالب تناول التمهيد مفهوم التوجيه ثم أنواع الموجهات الحجاجية, وضم المطلب الأول مفهوم القسم في حين أخذ المطلب الثاني القسم موجه حجاجي , أما الثالث فالطاقة الحجاجية للقسم ,في حين جاء الرابع بعنوان العامل الحجاجي في القسم وتناول الخامس الدعوى , كما ضم السادس القسم والمقام فخاتمة البحث وأهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ثم المصادر والمراجع .

## التمهيد

**أ.مفهوم التوجية:** التوجيه في اللغة: مصدر على وزن التفعيل من وجه يتوجه توجها وتوجيها , وأصله من الوجه, ووجه الكلام النبيل الذي تقصده ويقال وجه الحجر, أي وضعه على وجهه اللائق به, كما يقال قد وجهه ووجهه توجيها , أي جعله وجيها والجهة والوجهة ما يتوجه إليه الانسان من عمل وغيره , والوجهة القصد والنية .(٣) فالتوجيه في اللغة يأخذ معان عدة متقاربة تصب في تحويل الشيء وإدارته إلى الجهة التي يراد أن يتجه إليها وتحركيه إلى المسلك أو الطريق الذي يراد أن يسلكه. ويعد التوجيه من المصطلحات المهمة التي اهتم بها اللسانيون المحدثون فأولوه عناية فائقة, وذلك لما له من أهمية في أبحاثهم التي سلطت الضوء على ما يقوم به المتكلم فالتوجيه: وظيفة لغوية تعنى بالعلاقات الشخصية معبرة عن رغبة المرسل في تنفيذ المرسل إليه توجيهه أوبعضاً منه في المستقبل (٤) أو هو:((حكم على حكم أي إنه حكم من درجة ثانية)).(٥) وقد عدوه:((وجهة نظر الفاعل الناطق حول المقول في ملفوظ ما))(٦) فالتوجيه هو مجموعة من الافعال والآليات اللغوية التي يوظفهما المُرسِل في خطابه الموجه إلى المُرسَل إليه مستندا إلى دور السياق والمقام ليحقق رغبته في دفع المُرسل إليه الى تحقيق جزءٍ من أفعاله التوجيهية في المستقبل أو أن يكون توجيهه دافعاً وراء ما سيقوم به المُرسَل إليه مستقبلاً.

**ب- الموجهات الحجاية:** الموجهات هي :(( كل المحاولات الخطابية التي يقوم بها المُرسِل بدرجات مختلفة للتأثير في المرسل إليه ليقوم بعمل معين في المستقبل))(٧)فهي الأفعال التي تؤدي وظيفة حجاجية داخل الخطاب لتحقق الانسجام النصي بما تفرضه من هيمنة على النسيج الداخلي ومن ثم على دلالاته هادفةً إلى جعل المتلقي يتصف وفق ما يريده الموجه.

وتقسم الموجهات الحجاجية على قسمين:

أ. **الموجهات اليقينية:** وهي الموجهات التي تعد ضماناً لحقيقة الكلام ولإمكان أن يكون هذا الكلام مقنعاً على الرغم من انطباعه بالذاتية, ذلك أن الاقناع يحصل لدى المتلقي بمجرد أن القضية التي عرضت عليه جاءت موجهه توجيه إثبات(٨) وتتجسد الموجهات اليقينية بمجموعة من العوامل الحجاجية التي تعمل على حمل المتلقي على الاقتناع والتصديق وترك الشك والتردد كأفعال اليقين والقصر, وأدوات التوكيد(٩)... الخ يريده المتكلم عن طريق التأثير فيه وحمله للاستجابة لغاية المتكلم.

ب. **الموجهات التقريبية أو موجهات الشك:** هي الموجهات القائمة على الفاظ الشك والتردد مثل:(يبدو أن, كأن ,زعم..)) إذ تعمل هذه الموجهات على جعل الملفوظ صبغة موضوعية من خلال أكسابه سمة ذاتية عن طريق الإعلان عن حضور صاحبه فيه حضوراً بارزاً للعيان(١٠) وتستعمل الموجهات بنوعيها اليقينية والتقريبية بحسب المقام فكل موجه يعمل في قضية ما على تصديق الكلام وتأكيده ومنحه بعداً حجاجياً واقناعياً قد لا يصلح في قضية أخرى،(١١) فالموجهات اللغوية محملة بطاقة حجاجية يتم استثمارها من قبل المتكلم فتكون قادرة على توجيه الملفوظ تبعاً لمقصديات الكلام ومتطلبات التلقي الذي يحصل به التأثر والاقناع.

**اولاً:** مفهوم القسم: القسم في اللغة مصدر ومنه قسمتُ الشيء فانقسم , وأقتسمتُ حلفت وأصله من القسامة , وهي الإيمان تقسم على الأولياء في الدم(١٢).والقسم هو : اليمين, والجمع أقسام, قد أقسم بالله, واستقسمه به, قاسمه حلف له ,وتقاسم القوم تحالفوا , وأقسمت حلفت , وأصله من القسامة. (١٣) وسمي القسم اليمين , وذلك تبعاً لحاجة الناس في تبادل الثقة فيما بينهم أثناء التعامل , وجاءت هذه التسمية نسبة إلى يمين اليد , لأنهم كانوا يتماسحون بأيمانهم ويتحالفون.(١٤) أما في الاصطلاح فالقسم ضرب من ضروب التوكيد في الجملة العربية.(١٥) أو هو ((ربط النفس بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقادا)).<١٦> فهو توكيد لأمر المحلوف عليه بذكر اسم الله او صفه من صفاته. ويساق القسم لأغراض أهمها التوكيد وهذا ما صرح به سيبويه إ يقول : ((الحلف التوكيد)).(١٧) فهو توكيد ما يقسم عليه من نفي أو اثبات لإزالة الشك عن المتلقي وإقرار الكلام في نفسه و إنه يحرك النفوس ويثيرها , وذلك بخاصيته الاستعطافية<١٨> مايحقق قبولاً لدى المتلقي لما يساق إليه من كلام ,لذا يعد القسم من أبرز الموجهات الحجاجية لخواصه التأكيدية والاستعطافية التي تمنحه بعداً حجاجياً وتشحنه بالطاقة الاقناعية.

**ثانياً: القسم موجه حجاجي:** يعد القسم صنفاً من أصناف الفعل الكلامي التي توجه القول توجيهاً يقينياً مثبتاً يلجأ إليه المتكلم لتوكيد كلامه وإثباته مقيماً الحجة على المُخاطب في الوقت نفسه ويشترط في القسم أن يكون ((بإسم معظم)).(١٩)

كما إن المقسم به يجب أن يقع ضمن المنظومة الثقافية التي يدور في فلكها المتكلم والمتلقي المشكلة من عوالم ايمانية وعرفية مسلم بها, والغاية من القسم هي تحقيق غرض تواصلي عن طريق إثبات الحجة وتأكيدها في نفس المتلقي ليتحقق التصديق والوثوق بمايريدة المتكلم.(٢٠)

وقد ظهر القسم جلياً في لغة العرب تبعاً لحاجة المتكلم في تأكيد الكلام الذي يسوقه , ولاسيما في الأمور المهمة كالمحالفات , والمعاهدات إذ كان للتأكيد عند العرب صيغ مختلفة والقسم أقواها تأكيدا لأنه يفيد الجزم بصحة الكلام أو الخبر المنقول , وقد نال القسم عندهم مكانة كبيرة مشكلاً ثقلاً في خطاباتهم الاقناعية إذ كانوا يحترزون عن الإيمان الكاذبة , ويعتقدون أنها شؤوم على صاحبها , تخرب الديار وتدعها بلاقع لما فيها من الغدر والخيانة ,لهذا كانت اليمين عندهم قاطعة في إثبات الحقوق وتصديق الكلام.(٢١) ودليل اهتمام العرب بالقسم وتعظيمه في لغتهم وخطاباتهم ,هو إن القرآن نزل بلغتهم والقسم من عادات العرب إذا أرادوا أن يؤكدوا أمراً ما.(٢٢) ولأهمية الخطب والوصايا في حياة عرب ماقبل الإسلام زينوا مفاصلها بالقسم لإثبات حججهم وإعطاء كلامهم ثقلاً اقناعياً في نفس المتلقي تحقيقاً لغاياتهم التي كان النص الخطابي هو ميدانها الإعلامي ,الذي حقق القسم فيه بعداً حجاجياً قوياً محملاً بطاقة إقناعيه عالية تسللت إلى نفوس المستمعين ليذعنوا للنصوص الخطابية مستجيبين لمطالب الحوار فيما يخص أمور حياتهم الدينية والدنيوية.

**ثالثاً:** الطاقة الحجاجية للقسم: إن للقسم قوة تأثيرية لاتقف عند حدود الطاقة التعبيرية لدلالة النمط, وإنما تنفتح على آفاق دلالية وتداولية واسعة ,لمحاولة المتكلم اقناع الخصم بوسم خطابه بأعلى درجات التأكيد فيصبح للملفوظ درجة حجاجية عالية.(٢٣) فالقسم يمتلك طاقة توليدية يبث من خلالها قدراته الاقناعية في ثنايا التراكيب النصية ماينهض بالمقسم به في توجيه الملفوظات وإثباتها وجعلها مما يحمل على إنها واقعة لامحالة ,وذلك بان للقسم قوة تعمل على تحقيق قيمة الكلام وترسيخها في ذهن المتلقي سواء أكانت هذه القيمة متحققه أم كانت متصوره.كما تقوم الملفوظات المؤكده بالقسم على صورتين متعارضتين إذ يحاول المتكلم بواسطة القسم أن يضع المتلقي امام مفاضلة فكرية قائمة على التوكيد بالقسم بما يملكه من مؤثرات تؤسره لما يريده المتكلم ليتحقق بذلك الاقتناع والتصديق.

**رابعاً:** العامل الحجاجي في القسم: يمتاز العامل الحجاجي بخاصية التعبير عن المقسم به من خلال تأثيره في التركيب لينهض الخطاب بوظيفة الحجاج , كما يعمل على توجيه الملفوظ وإثباته مايؤهله لجعله واقعاً لا محاله ,فالمقسم به يمتلك قوة تأثيرية تجعل الكلام مقبولاً ولايمكن أن يرد.(٢٤) وتأتي قوة المقسم به التأثيرية من أهمية القسم ومكانه المقسم به بالنسبة للطرفين المتكلم والمتلقي , فالقسم يحمل في طياته قوة تأثيرية تملك النفوس بقداستها وهذا نابع من طبيعة القسم في إثارة مشاعر المتلقين واستمالتهم لبلوغ الاقتناع والاذعان ,لذا أدى القسم كعامل حجاجي دوراً مميزاً في الخطب والوصايا الجاهلية لما له من وقع تأثري يؤسر قلوب المتلقين ويفند الشك الذي يدور في أذهانهم فورد في صيغ عدة كالآتي :

١ .والله.

٢. فورب هذه البنية.

٣.. تالله.

٤ .فوالله.

٥. أما والله.

٦ .وأيم الله.

٧. لعمري

٨. أما والأصنام المحجوبة والانصاب المنصوبة. لقد اختلفت صيغة القسم في كلام العرب , وذلك تبعاً لطبيعة معتقداتهم التي اشرنا إلى اختلافها ولكن لكل قسم هيمنته وتأثيره كعامل حجاجي يضفي على المقسم قوة حضورية في النص ليكسبه بذلك مكانة مرموقة في نفس المتلقي لا يرقى الشك إليها. فالعوامل الحجاجية في القسم حلقة وصل بين طرفي الخطاب هذا مايكسبها حجاجيتها في توجيه الاثبات:(( فالحمولات الدلالية والاقتضائية للعامل الحجاجي في القسم يقوم بوظيفة حجاجية, لذلك يتم طلبه في الخطاب سعياً من الباث لحصول الاستقرار والاطمئنان الروحي وعدم التردد من الطرف المقابل في قبول القضية)).(٢٥)

**خامساً :** الدعوى:**تمثل الدعوى** (المقسم عليه) المحور الأساس الذي استدعى توجيه الكلام بالقسم فقد جاء القسم ليسلط الضوء عليها بعدها المعلومة الجديدة التي من شأنها أن ترد كما إنها القضية التي يحصل التنازع حولها في الوقت نفسه, لذا تحاول استجماع قواها فارضةً نفسها عبر القوة التأثيرية المستمدة من سلطة القسم واستحواذه على النفوس.(٢٦) ولأهمية الدعوى في كونها الركيزة التي يدور حولها النص فقد تشكلت بانماط عدة في الخطب والوصايا الجاهلية سنوضحها كالآتي

أ–النمط الخبري المؤكد: يمثل جواب القسم النمط الخبري المؤكد جزءاً مهماً في كلام العرب وذلك لمعرفة العرب بأهمية التوكيد في جواب القسم فخواص القسم التوكيدية والتأثيرية تضفي على النص بعداً اقناعياً يعمل على صنع استجابة لدى المتلقي , فضلاً عن المؤكدات التي تتزامن في جملة القسم مع خاصية القسم ما يجعل النص ذا فعالية تأثيرية عالية تتناسب مع دور الخطب في الاقناع والاستمالة لذا يكون القسم أداة فعالة في مدار الخطب كما ورد في منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين(٢٨) قال عمر(( والله إني لأكرم منك حسباً ,واثبت منك نسباً)).(٢٩) افقال علقمة: ((والله لأنا خيرُ منك ليلاً ونهاراً)) (٣٠) فقال عامر : ((والله لأنا أحب الى نسائِك أن أصبح فيهن منك... إني والله لأركبٌ منك في الحماة , وأقتلُ منك للكماة)). فاءجابه علقمة قائلاً : (( والله إني لبر , وإنك لفاجر , وإني لولود , وإنك لعاقر))(٣١) لقد ناسب القسم المؤكد جو الخطبة والمنافرة فقد ادرج الاثنان القسم في كلامهما مع استخدام المؤكدات (إن , واللام والتفضيل) محاولاً كل منهما اثبات الفضل لنفسه بتوظيف القسم وجوابه المؤكد. ومن أمثلة النمط الخبري المؤكد ايضاً ما ورد في مخاطبة هرم بن سنان(٣٣) لعامر وعلقمة حاكماً بينهما أيهما الأفضل قائلاً : ((لعمري لأحكمن بينكما ثم لأفصلت , فأعطياني موثقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول)) .(٣٤) فأجابه عامر قائلاً : (( نشدتك الله والرحم أن لأتفضل علي علقمة , فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها أبداً )).(٣٥) يبين التوكيد في جواب القسم أنه يضفي للكلام قوة اقناعية تمنحه بعداً حجاجياً في توجيه المخاطب لما يريده المتكلم فيحقق بذلك ماسعى إليه سواء في الحاضر أم في المستقبل القريب من زمن المقول . ولم يكن المقسم به المؤكد بلفظ الجلالة النمط الوحيد الذي ورد في خطب العرب في عصر ما قبل الاسلام ,وإنما جاء جواب القسم المؤكد بغير الله كقول طريف بن العاصي(٣٦) منافراً الحرث بن ذبيان قائلاً: (أما والاصنام المحجوبة والانصاب المنصوبة , لئن لم ترجع عن ظلمك , وتقف عند قدرك , لأدعن خزنك سهلاً ,وغمرك ضحلاً)).(٣٨) لقد اقسم طريف بالأصنام والانصاب مؤكداً كلامه باءداة التوكيد لئن المتبوعة بحجج متساوقة بالرابط الحجاجي الواو , وذلك ليمنح الكلام قوة اثباتية تجعله ذا وقع قوي في نفس المخاطب ما يحقق غايته في إثارة مشاعر الخوف لدى خصمه فيستشعر قدره وهمته منسحباً أمامه اثباتاً لجبروته وعظمته وبهذا يكون جواب القسم المؤكد قد حقق غايته المنشودة.

**ب. النمط الخبري المنفي:** يتميز النفي بخاصيته التوجيهية للقول فهو من العوامل الحجاجية التي يحقق بها المتكلم وظيفة اللغة الحجاجية بتوجيه القول والمتلقي , وذلك بإذعان المتلقي وتسليمه لما يريده المتكلم.(٣٩) فيشترك النفي مع القسم بخاصية التوجيه الحجاجي لذا يعملان على توجيه المقول وإلزامه للمتلقي فاجتمعا في نمط واحد لتقوية التوجيه الحجاجي , كماورد في خطب العرب ووصاياهم فالعرب في عصر ما قبل الاسلام كانوا على دراية ومعرفة تامة بطرق توجيه القول وكيفية هيمنته على المتلقي ومن امثلة ذلك ماورد في خطبة ميثم بن مثوب (٤٠) في الرد على خصمه قائلاً : ((... وإنا والله مانعتذُ لهم بيدٍ إلا وقد نالهم منا كفاؤها , ولانذكر لهم حسنة إلا وقد تطلع منا إليهم جزاؤها , ولا يتفيأ لهم علينا ظلّ نعمةٍ إلا وقد قوبلوا بشرواها....))(٤١) إن اجتماع القسم والنفي في جملة القسم الخبرية شحن النص بطاقة أقناعية عالية عملت على توجيه القول بحججه المترابطة باالواو لتشاوق مكونة قوة تأثيرية مستمدة سلطتها من نفوذ القسم الذي يمكن المقول من المتلقي ويجعله مذعناً له. فنلاحظ أن قوة القسم التوجيهية هنا قد تناسبت وموضوع الخطبة في اثبات حسن نوايا قومه اتجاه الخصوم موظفاً في ذلك عواملاً حجاجية مرادفة للقسم ماصنع دوياً اقناعياً فرض نفوذه على المقابل الذي قبل بالسلم ونفى فكرة الحرب. ومن روائع القسم في هذا النمط ايضاً ماجاء في مفاخرة طريف بن العاصي والحرث بن ذبيان إذ قال الحرث مفاخراً(( أتسمع يا طريف , أني والله ما أخالك كافاً عُرب لسانك , ولامنهنها بشرة نزواتك ,حتى أسطوبك سَطوة تكف بها طماحك,وترد جماحك..)) (٤٢) إن قوة الكلام وحاجة التفاخر الى اثبات هيبة كل منهما استدعى هذا النوع من انماط الدعوى بالقسم المقرون بالنفي المتبوع بحجج متساوقة بالروابط الحجاجية (والواو وحتى) مازاد الكلام تأثيراً ومنحه نفوذاً بما أضفته حتى للكلام بمسوقتها للحجج بخاصيتها الحجاجية جاعلة الحجج الاقوى بعدها والتي ازداد الكلام بها تأثيراً في المتلقي ولم تنفرد الخطب في هذا النمط وحدها وإنما قاسمتها في ذلك الوصايا , لحاجتها الى الاقناع فللوحية نفوذ يريد صاحبها أن يفرضه على الموصى ويلزمه إياه ولخاصية القسم في اثارة المشاعر وتأكيد الكلام فقد ضمنه العرب في وصاياهم ومن ذلك ماجاء في وصية زرارة بن عدس(٤٣) لبنيه قائلاً : ((إياكم أن تدخلوا عليّ في قبري حوبة أُسب بها, فوالله ماشايعتني نفسي قط على إتيان ريبةٍ ,ولا عمل بفاحشةٍ , ولاضمني وعاهرةٌ سقفُ بيت قط...)).(٤٤) يوصي زرارة بنيه موظفاً القسم بالنمط المنفي لكي ينفي عن نفسه فعل المنكرات قاصداً أن يكون قدوة يقتدون به في حسن الاخلاق والسيرة.

**ت. النمط الخبري الطلبي :** يمثل جواب القسم الخبري الطلبي جزءاً واضحاً في التراكيب اللغوية للجاهلي وخطاباته الموجهة للأفراد والجماعات , وذلك لأهمية هذا النمط في القسم ولقوته التأثيرية في المتلقي ومن ذلك ماجاء في خطبة هاشم بن عبد مناف (٤٥) يحث قريشاً على إكرام

زوار بيت الله الحرام قائلا: ((... فورب هذه البنية , لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتكموه ,أ لا وإني مخرج من طيب مالي وحلاله , مالم يقطع فيه رحِم ولم يؤخذ بظلم , ولم يدخل فيه حرام , فواصنعهٌ)).(٤٦) لقد عمل القسم في هذا النص من الخطبة بتأكيد أهمية وحرمة بيت الله بخاصيته التأكيدية مبيناً مكانة زواره وكيفية اكرامهم , كما دفع الانكار والشك عن كلام هاشم وخطبته بقومه فقد أقسم لهم بأنه لو امكنه كفاية ذلك عنهم لتكفل به عنهم مستعيناً بالنمط الطلبي في توجيه القول واستمالة المستمعين الذين عظم الامر في نفوسهم بواسطة القسم فحقق بذلك الاستمالة والاقناع. ومن روائع استعمالهم لهذا النمط في خطبهم ماجاء في مفاخرة الحرث بن ذبيان لطريف بن العاصي قائلاً : (( إياي تخاطب... فو الله لو وطئتك لأسختك , ولو وهصتك لأوهطتك , ولو نفحتك لأفدتك ))(٤٧) إن التفاخر من صفات العرب وعاداتهم التي جبلوا عليها إذ كانوا ينضمون لذلك أقوى التراكيب وأدق المعاني ليرجحوا على نظيرهم ويثبتوا مكانتهم فكان القسم اقوى المؤكدات التي نسجوا بها خطبهم ومفاخراتهم لما له من هيبةٍ وطاقة عالية يكسو بهما النص قوة وبهاءً فيصنع المتلقي في حالة اصرار على قبول الكلام والإذعان لمقصد المتكلم . إن للنمط الخبري الطلبي قوة تأكيدية تضع الكلام في مجال القبول الذي لا يرد ,لذا ورد في خطب العرب كما ورد في وصاياهم لحاجة الموصي الزام الموصى وصيته وعمله بها , فكان القسم أداة فعالة في التوجيه والتأثير لايمكن للمتلقي أن يتجاوز مكانتها هذا مادفع الموصين إلى تزيين وصاياهم به ومن ذلك ماجاء في وصية أمية بن عوف(٤٨) يوصي العرب عامة قائلاً : (( مالكم أيها الناس ؟ كأنكم تخشون مثل مقالتي عاماً أول ؟ إني والله لو كان الله تعالى أمرني بما قُلتُ لكم ماأعتبتكم ولا استعتبتُ , ولكنه رأي مني , فاءذا أبيتم فأنتم لأبصر)).(٤٩) وظف أمية القسم في وصيته متمثلاً بالنمط الخبري الطلبي لما رأى إنكار العامة لوصيته لذا كان القسم بخاصيتيه التوكيدية والتأثيرية العدة التي اعتد بها ليرفد وصيته ويقوي مفاصلها وتكون ذات تأثير فعال ملزمة للموصين بما يريده المتكلم .

**سادساً: القسم والمقام** : إن الألفاظ والتراكيب المؤكدة بالقسم تنفتح على أفاق دلالية وتداولية واسعة لاتقف عند حدود التعبير , وإنما تخرج لأبعد من ذلك محاولة إقناع المتلقي بما يريده المتكلم بأعلى درجات التأكيد مايتيح للملفوظ بأن يصبح على درجة عالية مولده للأقناع فتنهض بالقسم ليحقق دوره في التوجيه والإقناع , ويكون ذلك تبعاً لطبقاتالمتلقين ودرجة انكارهم لذا تكون الطبقات على قسمين في الخطب والوصايا انعاكساً لطبيعة المتلقين وهما :

١.**الطبقة المقامية الأولى** : وهي الطبقة التي يكون فيها المتلقي جاهلاً لما يقوله المتكلم غير داخلة في القسم المشترك بينهما (٥٠), إنما انفرد بها المتكلم فقوى كلامة بالقسم الذي يزيل الشك عن ذهن المتلقي بتأكيد القول وتمثل الملفوظات التالية هذه الطبقة المقامية في خطب ووصايا عصر ما قبل الإسلام كخطبة الحرث بن ذبيان مفاخراً : ((إياي تخاطب بمثل هذا القول ؟ فو الله لو وطئتك لأسنحتك , ولو وهصتك لأوهطتك , ولو نفحتك لأفدتك )).(٥١) لقد أقسم الحرث بالله مستعملاً النمط الخبري الطلبي ليقوي كلامه ويزيده تأكيداً مخاطباً به طريف الذي لايعلم مدى حماسة وحدة فخره بنفسه , لذا لجأ إلى هذا الأسلوب لكون المخاطب خالي الذهن وليس لدية أية فكرة عن مايريد أن يقوله المتكلم فجاء بالقسم محاولاً إثبات كلامه ليطمئن له المتلقي فيحصل التصديق والإذعان ,وكأنه يدفعه إلى الوثوق بكلامه عندما قدم له معلومة مؤكده بأعلى درجات الإثبات. كما تمثلت هذه الطبقة في وصاياهم ايضاً وذلك لأن الموصى لا يعلم بما يريده الموصي في أغلب الأحيان ومن ذلك ما ورد في وصية أمية بن عوف لعامة العرب قائلاً : (( إني والله لو كان الله تعالى أمرني بما قلت لكم ماعتبتكُم , ولاآستعتبتُ , ولكنه رأي مني ,فإذا أبيتم , فأنتم أبصر )).(٥٢) لقد مثل جواب القسم المعلومة التي يجهلها المتلقي بالنسبة للمتكلم , لذا لجأ الأخير إلى إثبات كلامه والسعي لحصول الاطمئنان واليقين في نفسية المتلقي مؤثقاً قوله بأعلى درجات الإثبات وهو القسم الذي وجه به القول وزادة استحساناُ وقبولاً لتتحقق بذلك الوصية .

٢. **الطبقة المقامية الثانية** : هي الطبقة التي يكون فيها المتلقي على قدر من المعرفة بالمعلومة التي يقدمها المتكلم ولكن الأخير يعمل على تصحيحها بإعتبارها معلومة غير وارده .(٥٣) وتتمثل هذه الطبقة في خطبة طريف مفاخراً بقوله : ((تالله ماسمعتُ كاليوم قولاً أبعد من صواب , ولا أقرب من خطل , ولا اجلبُ لقذع من قول هذا))٥٤)إن الملفوظات التي وردت في النص السابق هي جواب القسم على قضايا طرحها المتكلم كأجوبة لأسئلة مفترضة قام بالرد عليها بطريقة مؤكدة لايمكن انكارها . وتتمثل هذه الطبقة في وصية زرارة بن عدس لبنية قائلاً : ((... فو الله ماشايعتني نفسي قط على إتيان ريبةٍ , ولاعملٍ بفاحشةٍ , ولاضمني وعاهره سقفُ بيت قط , ولاحسنت لي نفسي الغدر منذُ شدت يداي مئزري , ولافارقني جارُ على قلىً)).(٥٥) أدرج زرارة القسم بالنمط المنفي ليزيد الكلام قوة توجيهية مؤثره , لتأكده من أن الموصين على علم بجزء يسير مما يدور في نفسه فعمد إلى تبيينه لهم بحجج متساوقة ومترابطة بالواو المقرون بلا النافية ما منح الحجج قوة وجهت بها المتلقين فحققت القبول والاذعان بطاقة القسم التوجيهية التي عمد الموصي توجيه النص بها ليلزم أولادة الوصية.

**الخاتمة** : بعون الله وتوفيقه آن لنا أن نصل إلى نهاية بحثنا الذي عرضنا فيه لأهمية القسم موجة حجاجي في الخطب والوصايا الجاهلية وقد خلصت هذه الدراسة لعدة نتائج سنذكرها كالآتي :

١.يعد النثر الجاهلي صورة واضحة للتواصل وتوظيف الأليات الاقناعية التي تحقق الغايات المحددة خاصة في خطبه ووصاياه.

٢.لقد اضطلعت الموجهات اللغوية في الخطب والوصايا بوظيفة حجاجية سمحت بتوجيه الملفوظ حسب مقاصد المتكلم ومتطلبات التلقي ومن ثم توجيه المتلقي نحو القيام بفعل ما أو تركه .

٣. اندرجت الموجهات اللسانية ضمن الموجهات اليقينة والتقريبية أو موجهات الشك.

٤.إن الهدف من حضور الموجهات اليقينة في الخطب والوصايا هو إثبات لقضايا ينكرها المتلقون , لذا كان حضورها حملاً للمتلقين على الاقتناع وترك الشك.

٥. يعد القسم أهم فعل كلامي تأكيدي إذ يمثل قوة تعمل على تحقيق قيمة الكلام التأثيرية.

٦.لقد استخدم الجاهليون القسم موجة يقيني في خطبهم ووصاياهم التي كانت تمثل أداة إعلامية قوية لها دور فعال في توجيه الأفراد والجماعات وتنظيم أمور الحياة المختلفة وذلك لما للقسم من قوة في إثارة المتلقين وتحريك كل قنواتهم التواصلية من أجل أن يستحكم الكلام في خلدهم.

٧.يعمل القسم على توكيد الأخبار كي تستقر في النفوس , وذلك لخاصيته في دفع الشك وبعث المرء على التفكير الجاد فيما ورد القسم لأجله

٨.يمتاز القسم بامتلاكه طاقة حجاجية عالية بماله من خاصية الاستعطاف والتأكيد لذا مثل قوة إقناعية عالية في خطب العرب ووصاياهم .

## هوامش البحث

١.ينظر: لسان العرب : مادة (وجه)

٢.ينظر : الصحاح : ماده (وجه)

٣.ينظر : القاموس المحيط : ١٦٢\١

اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد : ١٤٣\١

٤. ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٣٣٧

٥. الحجاج في القران الكريم :٣١٥

٦.الملفوظية :٤١

٧.الملفوظية :٤١

٨.ينظر: الحجاج في القران الكريم :٣١٦

٩. ينظر : الحجاج في القران الكريم :٣٢٠

١٠. ينظر: الحجاج في القران الكريم :٣١٧

١١. . ينظر: الحجاج في القران الكريم :٣١٩

١٢. الصحاح: مادة (قسم)

١٣. ينظر : اللسان مادة (قسم).

١٤. الصحاح: مادة (يمين)

١٥. ينظر. الكتاب : ١٠٤\٣

١٦. صيغة نفي القسم في القران الكريم :١٨

١٧.الكتاب : ١٣ ٤٩٧

١٨. ينظر: التراكيب اللغوية في العربية : ٢٣٨

١٩. معترك الإقران في اعجاز القرآن :١٢ ٤٥٠

٢٠.ينظر : رسائل الامام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية :١٥٣

٢١. ينظر : اسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم وبلاغته وأغراضه : ٢٧

٢٢. ينظر: لغة القرآن الكريم :٢٦٥

٢٣.ينظر: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة ,دراسة تداوليه :٢٥١

٢٤. ينظر. الحجاج في القرآن الكريم :٣٢٢

٢٥. التوجيه الحجاجي في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام :٥

٢٦. ينظر: دراسة رسائل الامام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية :١٥٥

٢٧. علقمة بن علاثة العامري: هو علقمة بن علاثة بن عوف الأحوص بن جعفر بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة العامري. أدرك الاسلام فأسلم وارتد في زمن ابي بكر ثم عاد لاسلامه في زمن عمر فولاه حوران الى أن مات, ينظر: الاصابة في تمييز الصحابه : ٤ \ ٤٥٥

٢٨. عامر بن الطفيل العامري : هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري, كان فارساً شجاعاً اتصف بالعور والعقم , والذي نافر علقمة بن علاثة الى هرم بن سنان . له ديوان شعر . ط ينظر: الشعر والشعراء:٣٢٢\١ والاعلام : ٢٥٢\٣

٢٩. جمهرة خطب العرب :٨\١

٣٠.جمهرة خطب العرب :٨\١

٣١.جمهرة خطب العرب:٩\١

٣٢.جمهرة العرب :٩\١

٣٣.هرم بن سنان: هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري من مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان , من اجواد العرب في الجاهليه , ممدوح زهير بن ابي سلمى , وكان مضرب مثل , فقد اصلح بين عبس وذبيان , ينظر: الاعلام : ٢٨\٨

٣٤. جمهرة خطب العرب :١٠\١

٣٥. جمهرة خطب العرب ١٠\١-١١

٣٦. طريف بن العاصي : هو طريف بن العاصي بن ثعلبة بن جهم بن دوس الدوسي . ينظر: الروض الأنف ٢٢٧\١

٣٧. الحرث بن ذبيان : هو الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعيد بن ذبيان, الفاتك المشهور. ينظر: الحارث بن ظالم المري مقالة: شبكة الانترنيت ويكيديا الموسوعة الحرة .

٣٨.جمهرة خطب العرب:٧\١

٣٩. ينظر : العوامل الحجاجية في اللغة العربية عز الدين الناجح , مكتبة علاء الدين صفاقس ,ط١, ٢٠١١:٤٧

٤٠. ميثم بن مثوب : هو ميثم بن مثوب بن ذي عين من أقبال اليمن . ينظر: المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام :١٦\ ٤١١

٤١. جمهرة خطب العرب:٣\١

٤٢. جمهرة خطب العرب :٦\١

٤٣.زرارة بن عدس : هو زرارة بن عدس بن زيد جد هالي , بنوه بطن بني دارم , من تميم , من عدنان قاد تميم وكان حكماً قاضياً من قضاتها ينظر: الاعلام :٣\٤٣

٤٤.جمهرة خطب العرب:١٧٨\١

٤٥. هاشم بن عبد مناف: هو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي غالب بن فهربن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهو أكبر ولد عبد مناف وأعظم قريش على الاطلاق لقب بصاحب ايلاف قريش لتأمينه طرق التجارة. ينظر: جواهر المطالب , الباعوني .٢٦\١ السيره النبوية:١٨٦\١

٤٦. جمهرة خطب العرب : ٣٣\١

٤٧. جمهرة خطب العرب ٧\١

٤٨. امية بن عوف : هو أمية بن عوف الكناني من بني الحارث وهم الذين كانوا يعلنون النسيء ليحل لهم القتال في الأشهر الحرم . ينظر: الأعلام :٣٠٥\٥

٤٩. جمهرة وصايا العرب ١٣٤\١

٥٠. ينظر : الوظائف التداولية في اللغة العربية :٢٩

٥١. جمهرة خطب العرب :١\٧

٥٢.جمهرة وصايا العرب ١\١٣٤

٥٣. ينظر: رسائل الامام علي ق نهج البلاغة دراسة حجاجية :١٦٣

٥٤. جمهرة خطب العرب :١\٦

٥٥.جمهرة وصايا العرب :١\١٧٨

## مصادر البحث


١.استراتيجيات الخطاب , عبد الهادي بن ظافر الشهري , دار الكتب الجديدة , المتحدة ,ط ١ ,٢٠٠٢ م.

٢.اسلوب القسم الظاهر في القران الكريم بلاغته واغراضه , د. سامي عطا حسن جامعة آل البيت ,المفرق ,المملكة الاردنية الهاشمية .

٣.الاصابة في تمييز الصحابة , ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ), تحقيق: عادل أحمد الموجود, وعلي محمد معوض, دار الكتب العلمية , بيروت , ط ١, ١٤١٥هـ.

٤. الاعلام خير الدين الزركلي (ت.١٣٩٦هـ) , دار العلم للملايين , ٥ ,٢٠٠٢م

٥. اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد, سعيد الخوري الشرتوني , مكتبة لبنان ١٩٩٢م.

٦. التراكيب اللغوي في العربية دراسة وصفيه , هادي نهر, مطبعة الارشاد , ١٩٨٧م.

٧.التوجيه الحجاجي في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام ,عبدإلاله عبد الوهاب , هادي العرادوي ,جامعة الكوفة, عبد الكريم حسين السعداوي جامعة بابل ,٢٠١٧م.

٨.جمهرة خطب العرب , احمد زكي صفوت , اثر طبعه محمد بن عمران , شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولادة , ط ١,١٣٥٢ هـ-١٩٣٣م .

٩. جمهرة وصايا العرب , محمد نايف الدليمي ,منشورات دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت , ط ١, ١٤١١هـ-١٩٩١م .

١٠. جواهر المطالب , الباعوني , طبع محمد باقر محمودي , ١٤١٥هـ.

١١. الحارث بن ظالم المري , مقاله شبكة الانترنيت ويكيديا الموسوعة الحرة.

١٢. الحجاج في القران الكريم , عبدالله صولة , دار الفارابي , بيروت , لبنان , ط ٢ ,٢٠٠٧ م

١٣. الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة , دراسة تداولية , (اطروحة دكتوراه ) , ابتسام خراف , جامعة الحاج لخضر باتنه , ٢٠١٠م .

١٤.رسائل الامام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية ,رائد مجيد جبار, اصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبه الحسينية المقدسة العراق

١٥.الروض الآنف في شرح السيرة النبوية لأبن هشام , ابو القاسم السهيلي (ت٥٨١هـ) تحقيق : عمر عبد السلام السلامي , دار احياء التراث العربي , بيروت ,ط١ ,١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٦.السيرة النبوية ,ابن كثير , مصطفى عبد الواحد , دار المعرفة للطباعة والنشر , بيروت , ١٣٩٦هـ.

١٧. الشعر والشعراء , ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) دار الحديث, القاهرة, ١٤٢٣هـ.

١٨. الصحاح , اسماعيل بن حماد الجوهري , تحقيق احمد عبد الغفور عطارد , دار العلم للملايين ,ط ٣ ١٤٠٤ هـ .

١٩.صيغة نفي القسم في القران الكريم سمية محمد عنايه ,جامعة بغداد , ٢٠٠٤م .

٢٠.القاموس المحيط , مجد الدين الفيروز آبادي , دار الكتب العلمية , بيروت , ط ١ , ١٤١٥هـ-١٩٩٥ م.

٢١. لسان العرب , جمال الدين ابو الفضل بن منظور , دار احياء التراث العربي , بيروت , لبنان ,ط٢.

٢٢. لغة القرآن الكريم , عبد الجليل عبد الرحيم , مكتبة بالرسالة الحديثة , عمان , ط١, ١٩٨١م.

٢٣. معترك الاقران في المجاز القرآن , السيوطي تحقيق , محمد علي البجاوي , القاهرة , ١٩٧٣ .

٢٤. المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام , علي جواد الطاهر , بيروت , دار العلم للملايين د. ط ٢ ١٩٩٧ م.

٢٥. الملفوظية .جان سيرفوني , ترجمة , قاسم مقداد , منشورات اتحاد الكتاب العرب , سوريا , ١٩٩٨م.

٢٦. الوظائف التداولية في اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية , احمد المتوكل , دار الثقافة , الدار البيضاء ,ط١ ,١٩٨٥م.